



طفت التفجيرات الإرهابية، التي شهدتها إسطنبول وماردين أمس والثلاثاء، على مجلل الأحداث التركية.

واتهم رئيس الوزراء بن علي يلدريم حزب العمال الكردستاني المحظوظ بأنه وراء انفجار سيارة مفخخة استهدف مبني لأحد مقرات الشرطة بالقرب من الحدود السورية في ماردين جنوب شرق البلاد، أسفرا عن مقتل ثلاثة بينهم شرطي، وإصابة 30. وهو التفجير الثاني بعد يوم من انفجار سيارة مفخخة في إسطنبول.

وغالباً ما تتحصر دائرة الاتهام في عمليات من هذا النوع بكل من حزب العمال الكردستاني أو تنظيم داعش، وقد حمل الرئيس رجب طيب أردوغان عناصر «الكردستاني» المسئولية.

وإذا ثبتت مسؤولية حزب العمال، فإنها ستعزز التوجه القائل بأنّ هناك تحوّلاً في طريقة عمل الميليشيات الكردية، ليس في تركيا وحدها، وإنما في المنطقة أيضاً. ففي نهاية مايو الماضي، اتهم أردوغان الجانب الروسي بتزويد الحزب الانفصالي المصنّف إرهابياً، بأسلحة مضادة للطائرات عبر العراق وسوريا. وذلك بعد أسبوعين من نشر فيديو على موقع كردية، يظهر أحد المقاتلين وهو يسقط مروحيّة تركية من نوع AH-1W Super Cobra بصاروخ مضاد للطائرات محمول على الكتف، روسي الصنع، من طراز «SA-18»، في أول عملية من نوعها على الإطلاق منذ عقود طويلة.

ولم تكن هذه العملية استثناءً، وإنما جاءت في سياق تطور نوعي في طريقة تنفيذ العمليات التي تقوم بها الميليشيات الكردية في تركيا، وبنظرية على العمليات التي تمت خلال فترة عام، سنلاحظ أنّ نط العمليات التي اتبّعها «الكردستاني» داخل تركيا أو الأسلحة التي استخدمها فيها، قد تأثّرت إلى حد كبير، إن لم يكن حصرياً بالخبرات المكتسبة من قبل فرعه السوري

المعروف باسم حزب الاتحاد الديمقراطي الكردستاني PYD، وميليشياته المسلحة «وحدات حماية الشعب»، لا سيما بعد معركة عين العرب (Kobani).

تحول في النوع والأسلوب:

لقد أدى الصراع بين الحكومة التركية و«الكردستاني» خلال أكثر من 3 عقود إلى مقتل أكثر من 40 ألف تركي، لكن لم يسبق لمقاتلي الحزب أن قاموا خلال كل تلك المدة، على سبيل المثال، باستخدام أسلحة مضادة للطائرات، أو باستخدام عربات مفخخة، أو عبوات ناسفة، ولم يسبق لهم أن قاموا باستهداف قلب العاصمة التركية، وفي مناطق مدنية بالكامل. لكن منذ معركة كوباني، بدا أن هناك تحولاً في نوع العمليات وأماكن الاستهداف وفي الأسلحة المستخدمة أيضاً.

أسلوب السيارات المفخخة لم يكن معروفاً من قبل في تركيا، وقد شهدت أنقرة في 13 مارس تنفيذ أسوأ هجوم في تاريخها، حينما قامت انتشارية كردية تدعى سهار جاغلا ديمير بتفجير سيارة ملغمة بممحطة للحافلات في وسط أنقرة، في استهداف واضح للمدنيين، وقد توصلت الاستخبارات التركية آنذاك إلى أن المدعوة كانت تدرّبت لفترة في سوريا مع PYD، قبل أن تعود وتدخل إلى تركيا لتنفيذ العملية.

الجواب في سوريا:

في بداية الشهر الجاري، أعلن رئيس الوزراء بنالي يلدريم العثور على صواريخ مضادة للدبابات، من صنع أميركي وسويدي، بحوزة مقاتلي حزب العمال، وكذلك وجدت أسلحة ألمانية بحوزة مقاتلي التنظيم سابقاً، وهي كلها معطيات تطرح تساؤلات حول كيفية حصول مقاتلي «الكردستاني» على هذه الأسلحة ولماذا؟

هناك من يرى أن الجواب على هذه التساؤلات يأتي مرة أخرى من سوريا. فإن معارك عين العرب، حصل حزب PYD على كميات كبيرة من الأسلحة الأمريكية والأوروبية، وقد استخدم جزءاً منها ضد تركيا.

وبعد إسقاط الطائرة الروسية، شهد الدعم المقدم للميليشيات الكردية مرحلة جديدة، إذ قامت موسكو بفتح مكتب تمثيلي رسمي لـ PYD على أراضيها، وتعهد بوتين بدعم الحزب، وكذلك استقبل لاحقاً زعيم حزب الشعوب الديمقراطي الكردي صلاح الدين دميرتاش، المتهم بتأمين غطاء شرعي لهجمات «الكردستاني».

وفي هذا السياق، ترى الحكومة التركية أن ما يجري مرتبط بأجندة دول إقليمية ودولية، تسعى إلى استخدام بعض الميليشيات المسلحة الكردية كأداة في وجه تركيا، لإعادة رسم معالم نفوذها وتأثيرها في المنطقة، وهو الأسلوب نفسه الذي ترى شريحة واسعة من المتخصصين أنه قد تم استخدامه من قبل كل من إيران وسوريا ضد العراق وتركيا منذ عقود طويلة.

القبس الكويتية

المصادر: